﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ [الأحزاب: 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الأمـرُ باتِّقـاءِ أسبـابِ الأذى بعدَ النَّهيِ عنهُ

بعدَما نهَى ﷺ عن أذى المؤمنينَ والمؤمناتِ، وبيَّنَ سوءَ حالِ المُؤذينَ؛ زَجْرًا لهُم عن الإيذاءِ؛ أمرَ النَّبيَّ ﷺ بأنْ يأمرَ بعضَ المُتأذّينَ منهُم بما يدفعُ إيذاءَهم في الجملةِ مِنَ التَّستُّرِ والتَّميُّزِ عن مواقعِ الإيذاءِ، فقالَ: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الآيةَ[1]؛ لأنَّ مِنْ شأنِ المَطالبِ السَّعيَ في تذليلِ وسائلِها[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُدۡنِينَ﴾: (دنو) أصلٌ يدلُّ على المقاربةِ[3]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: دَنا إليهِ، ومنهُ، ولهُ، أي: قَرُبَ، ودنّاهُ تدنيَةً، وأدناهُ: قرَّبَهُ[4]، ومعنى ﴿يُدۡنِينَ﴾: يُرْخينَ، ويُسْدِلْنَ[5].

2) ﴿جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾: (جلب) مِنَ الأصولِ الَّتي يدلُّ عليها: تغطيةُ شيءٍ شيئًا آخرَ، ومِنْ ذلكَ: الجِلْبابُ، وجمعُهُ: جلابيبُ[6]، والمرادُ بهِ في الآيةِ: ثوبٌ أصغرُ مِنَ الرِّداءِ، وأكبرُ مِنَ الخمارِ والقِناعِ، تضعُهُ المرأةُ على رأسِها، فيتدلَّى جانباهُ على عِذاريها، وينسدلُ سائرُهُ على كتفِها وظهرِها، تلبسُهُ عندَ الخروجِ والسَّفرِ[7].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 183، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 115، والآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 263.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 106.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دنو).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (دنو).
(5) المراغيّ، تفسير المراغيّ: (دنو).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جلب).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 106.

3) ﴿يُعْرَفْنَ﴾: (عرف) مِنَ الأصولِ الَّتي يدلُّ عليها: السُّكونُ والطُّمأنينةُ[1]، ومِنْ ذلكَ: المعرفةُ والعِرْفانُ، أي: إدراكُ الشَّيءِ بتفكُّرٍ وتدبُّرٍ لأثَرِهِ، ويضادُّهُ الإنكارُ[2]، وقولُهُ: ﴿يُعْرَفْنَ﴾، أي: يُميَّزْنَ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

صيانةُ الحرائرِ عن الإيذاءِ

يا أيُّها النَّبيُّ قُلْ لأزواجِكَ وبناتِكَ وجميعِ المؤمناتِ: لا يتشبَّهْنَ بالإماءِ في لباسِهنَّ؛ إذا خَرَجْنَ مِنْ بيوتِهنَّ لحاجتِهنَّ، وليُرْخينَ على أبدانِهنَّ مِنْ جلابيبِهنَّ الواسعةِ، فذلكَ أقربُ وأحرَى أنْ يُميَّزْنَ، ويُعلَمَ أنَّهنَّ لَسْنَ بإماءٍ، فلا يُتعَرَّضَ لهنَّ بمكروهٍ أو ريبةٍ، واللّهُ غفورٌ رحيمٌ؛ لِما عسَى يَصْدُرُ منهنَّ مِنَ الإخلالِ بالتَّستُّرِ، بشرطِ التَّوبةِ مِنْ ذلكَ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

اتِّقاءُ أسبابِ الأذى دفعٌ لهُ

فُصِلَ قولُهُ تعالى ذكرُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مستأنفٌ مَسوقٌ لأمرِ المُتعرِّضاتِ للأذى بفعلِ ما يُبعِدُ الأذى عنهنَّ[5].

بلاغةُ افتتاحِ الآيةِ بالنِّداءِ:

الاهتمامُ بشأنِ الأمرِ بالإدناءِ

جيءَ بالنِّداءِ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ الآيةَ، واستُعمِلَتْ فيهِ (يا) الَّتي يُنادَى بها البعيدُ، وجيءَ معَها بهاءِ التَّنبيهِ؛ إشارةً إلى شدَّةِ الاهتمامِ بالأمرِ الَّذي سيقَتْ لهُ الآيةُ[6]، ولذلكَ نُبِّهَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرف).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (عرف).
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 22/ 36.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 324، ولجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن العظيم، ص: 632.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 115، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 45.
(6) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 392.

إليه النَّبيُّ ﷺ؛ ليتلقّاهُ بنفسٍ يَقْظَى، وفي ذلكَ حثٌّ للمؤمنينَ أيضًا على التَّيقُّظِ لِما يُتلَى في هذهِ الآيةِ.

دلالةُ إيثار وصف النُّبوَّة:

نوديَ النَّبيُّ ﷺ بوصفِ النُّبوَّةِ؛ تلطُّفًا بهِ[1]، ومدحًا لهُ بالوصفِ الَّذي هو مَنْبَعُ المعرفةِ والحكمةِ؛ لأنَّ السّياقَ لبيانِ وسيلةٍ يُذَبُّ بها عن الحريمِ؛ لئلّا يشتغلَ فكرُهُ ﷺ بما يحصلُ لهنَّ مِنَ الأذى، عن تلقّي شيءٍ مِنَ الواراداتِ الرَّبّانيَّةِ[2].

تعظيمُ المأمورِ بهِ بتولّي النَّبيِّ ﷺ الأمرَ بهِ

نُكْتَةُ توجيهِ الخطابِ للنَّبيِّ ﷺ:

وُجِّهَ الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ الآيةَ، ولم يوجَّهْ للمأموراتِ، فلم يقل مثلًا: (يا أزواجَ النَّبيِّ وبناتِهِ ونساءَ المؤمنينَ أْذنينَ) ... إلخ؛ لبيانِ شدَّةِ العنايةِ والاهتمامِ بهذا الأمرِ؛ إذ أُمِرَتْ بهِ المذكوراتُ بوساطةِ النَّبيِّ ﷺ، ولأنَّهُ قد سبقَ تهديدُ الَّذينَ يُؤذونَ رسولَ اللهِ ﷺ، فأُمِرَ ﷺ بأنْ يُباشرَ الأمرَ بما يُدفَعُ بهِ الأذى عنهُ؛ لأنَّ ما يُؤذي أزواجَهُ وبناتِهِ ونساءَ المؤمنينَ يُؤذيهِ أيضًا.

تعظيمُ المأمورِ بهِ بتولّي النَّبيِّ ﷺ الأمرَ بهِ

غرضُ الأمرِ في ﴿قُل﴾:

مادَّة القول تشمل كلَّ أنواعِ التَّعبيرِ اللَّفظيِّ، ما كان منها مباشرًا أو غيرَ مباشر، والظّاهرُ أنَّ المقصود بالأمر في قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ الوجوبُ؛ لأنَّهُ الأصلُ في صيغةِ الأمرِ، ولا صارفَ عنهُ هنا، فيُفيدُ الكلامُ وجوبَ أنْ يأمرَ النَّبيُّ ﷺ بالحُكمِ المذكورِ.

وجـــوبُ أمـــرِ المذكوراتِ بإدناءِ الجلابيبِ

معنى اللّامِ في ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾:

اللّامُ الجارَّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ للتَّبليغِ، فتفيدُ تبليغَ المذكوراتِ الأمرَ بالإدناءِ؛ ليبلغَ الغاية من الوعظ، وهو التَّأثير في أنفسهم، فيستجيبوا.

---

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 419.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 411.

دلالةُ التَّعبيرِ بالأزواجِ دونَ الزَّوجاتِ:

عـادةُ القـرآنِ استعمالُ لفظِ الأزواجِ

جيءَ بلفظِ الأزواجِ في قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ دونَ لفظِ الزَّوجاتِ؛ لأنَّ الأزواجَ جمعُ زوجٍ، وهو يُطلَقُ على كلٍّ من الزَّوجينِ، ويتبيَّنُ المرادُ به مِنَ السّياقِ، وقد جرَتْ عادةُ القرآنِ باستعمالِ لفظِ الأزواجِ، وأمّا الزَّوجاتُ؛ فهو جمعُ زوجةٍ، ولم يُستعمَلْ في القرآنِ.

نُكْتَةُ تقديمِ الأزواجِ على البناتِ:

تربيةُ الأزواجِ تستلزمُ تربيةَ البناتِ

قُدِّمَ الأزواجُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ على البناتِ؛ لأنَّ تربيتَهنَّ أهمُّ؛ لِما لهنَّ به مِنَ الوُصْلةِ بالنِّكاحِ، ولأنَّهُ بتربيتِهنَّ تحصلُ تربيةُ البناتِ في الجملةِ[1]، ولأنَّ الأزواجَ سابقاتٌ على البناتِ؛ إذ يتزوَّجُ الإنسانُ، ثمَّ يولَدُ لهُ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾:

عُلوُّ شأنِ أزواجِ النَّبيِّ وبناتِهِ

أُضيفَتِ الأزواجُ والبناتُ في قوله تعالى ذِكرُهُ: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ إلى كافِ الخطابِ الرّاجعِ إلى النَّبيِّ ﷺ؛ لتشريفِهنَّ وتفخيمِ شأنِهنَّ، والعنايةِ بتعليمِهنَّ وإرشادِهنَّ؛ لِما جُبِلَ عليه الإنسانُ مِنَ الغَيْرةِ على حريمِهِ ومَنْ يَلوذُ به.

نُكْتَةُ تقديمِ الأزواجِ والبناتِ على نساءِ المؤمنينَ:

الـدّاعـيـةُ يـبـدأُ بـنـفـسِـهِ وبـمَـنْ يَعولُ

ابتُدِئَ بأزواجِ النَّبيِّ ﷺ وبناتِهِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنَّهنَّ أكملُ النِّساءِ، فَذِكْرُهنَّ مِنْ ذِكرِ بعضِ أفرادِ العامِّ للاهتمامِ به[2]، ثمَّ ترى القولَ يعمُّ نساءَ الأمَّةِ على امتدادِ ساحةِ وجودِ هذهِ الأمَّةِ الموصولةِ بآخرِ الوجودِ، وترى في هذا السّياقِ القصيرِ ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ما يُغري المرأةَ المسلمةَ بالامتثالِ لهذا الأمرِ؛ لأنَّها تكونُ في صحبةِ أزواجِهِ وبناتِهِ، وهذا غايةُ ما يمكنُ أنْ يكونَ مِنَ التَّكريمِ، ثمَّ ترى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 411، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 419.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 106.

المُتبرِّجاتِ يَنْفَلِتْنَ مِنْ هذهِ الكوكبةِ المُشرقةِ بنورِ الفضيلةِ والتُّقى، إلى دائرةٍ أخرى لا تتَّصل بالنَّبيِّ ولا بأهلِهِ الأطهارِ، وفي الآيةِ إشارةٌ ذاتُ مَغْزًى، وهي أنَّ أهلَ البلاغِ إنَّما يَبْدؤونَ في الأمرِ بمَنْ حولَهم، فالنَّبيُّ ﷺ يبدأُ بأزواجِهِ وبناتِهِ؛ ليكونَ بذلكَ قدوةً عمليَّةً في إذاعةِ هذا الأمرِ، وهذهِ هي الخطوةُ الضَّروريَّةُ الَّتي يجبُ أنْ يخطوَها الدّاعي، وإلّا كانَ عملُهُ ضائعًا[1].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

جميعُ المؤمناتِ مُكلَّفاتٌ بالسَّترِ

ليسَ المرادُ بقولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أزواجَ المؤمنينَ فقطْ، بل المرادُ أعمُّ مِنْ ذلكَ، وهو الإناثُ المؤمناتُ، وإضافتُهنَّ إلى المؤمنينَ على معنى (مِنْ)، أي: النِّساءِ مِنَ المؤمنينَ[2]، وفي هذهِ الإضافةِ تنبيهٌ على علَّةِ العنايةِ بتعليمِهنَّ وإرشادِهنَّ، وهي انتسابُهنَّ إلى المؤمنينَ، وتحلّيهنَّ بصفةِ الإيمانِ الَّتي توجِبُ عليهنَّ التَّستُّرَ والانقيادَ لأوامرِ اللّهِ ﷻ.

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ مجموعًا في ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

رسوخُ الإيمانِ يستلزمُ الامتثالَ لأوامرِ الشَّرعِ

لمّا كانَ مقصودُ الشّارعِ الحكيمِ نشرَ الفضيلةِ والعفافِ والسَّترِ في أرجاءِ المجتمعِ الإسلاميِّ في كلِّ مكانٍ وزمانٍ؛ جيءَ بلفظِ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مجموعًا مُعرَّفًا؛ ليشملَ نساءَ جميعِ المؤمنينَ، فضلًا عمّا في التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ مِنَ الدِّلالةِ على رُسوخِ المؤمنينَ في صفةِ الإيمانِ، وذلكَ يستدعي الخضوعَ والانقيادَ لأوامرِ الشَّرعِ وتعاليمِهِ.

موقعُ ﴿يُدْنِينَ﴾ ممّا قبلَهُ وسرُّ مجيئِهِ مضارعًا:

شأنُ المؤمناتِ سرعةُ الامتثالِ

قولُهُ تعالى ذكرُهُ: ﴿يُدْنِينَ﴾ يحتملُ أنْ يكونَ جوابَ أمرٍ مُقدَّرٍ، على حدِّ قولِهِ تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:

(1) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 392.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 106.

[31][1]، والتَّقديرُ هنا: (قُلْ لهنَّ: أدْنينَ يُدْنينَ)، فيكونُ في هذا الحذفِ إيذانٌ بأنَّهنَّ لفَرْطِ مطاوَعتِهنَّ النَّبيَّ ﷺ بحيثُ لا ينفكُّ فعلُهنَّ عن أمرِهِ، وأنَّهُ كالسَّببِ الموجِبِ لهُ[2]، ولذلكَ أُخبِرَ عنهنَّ بصيغةِ المضارعِ الَّتي تدلُّ على تصويرِ الحدثِ الواقعِ، وتدلُّ أيضًا على الاستمرارِ، وأنَّهنَّ يلتزمنَ السَّترَ في جميعِ الأزمنةِ والأوقاتِ، ويحتملُ أنْ يكونَ ﴿يُدْنِينَ﴾ مَقولَ القولِ، وهو خبرٌ بمعنى الأمرِ[3].

علَّةُ تعديةِ الإدناءِ بـ(على):

الإدناءُ مُتضمِّنٌ معنى الإرخاءِ أو السَّدْلِ

الإدناءُ: التَّقريبُ، يقالُ: أدناني، أي: قرَّبَني، وضُمِّنَ في قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ معنى الإرخاءِ أو السَّدْلِ، ولذلكَ عُدِّيَ بـ(على)، ونُكْتَةُ التَّضمينِ الإشارةُ إلى أنَّ المطلوبَ تستُّرٌ يتأتَّى معَهُ رؤيةُ الطَّريقِ؛ إذا مَشَيْنَ[4]، والظَّاهرُ أنَّ المرادَ بـ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: على جميعِ أجسادِهنَّ، فلا يَدَعْنَ شيئًا منها مكشوفًا[5]، ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ: على رؤوسِهنَّ أو على وجوهِهنَّ؛ لأنَّ الَّذي كانَ يَبْدو منهنَّ في الجاهليَّةِ هو الوجهُ[6].

معنى (على) في قوله: ﴿عَلَيْهِنَّ﴾:

في سَتْرِ الجلابيبِ أجسادَ العفائفِ دفْعٌ للرِّيبةِ والأذى

لمّا كانَ المطلوبُ إسدالَ الجلابيبِ على جميعِ الأجسادِ - كما هو الظّاهرُ - أو على الرُّؤوسِ أو الوجوهِ؛ جيءَ في قولِهِ تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ بحرفِ الجرِّ (على)، الدّالِّ على الاستعلاءِ، وفيهِ مبالغةٌ في كونِ الجلابيبِ قدِ استَعلَتْ على ما سترَتْهُ، واشتملَتْ عليهِ مِنْ كلِّ الجوانبِ، وبذلكَ يتحقَّقُ مطلوبُ السَّترِ ودفعِ الرِّيبةِ والأذى.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 265.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 419.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 265.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 264.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 411، والآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 264.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 264.

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾:

مطلوبُ الشّارعِ تجلبُبُ النِّساءِ ببعضِ الجلابيبِ

معنى ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ هو التَّبعيضُ، والتَّبعيضُ محتملٌ وجهين: **أحدُهما:** أنْ يتجلبَبْنَ ببعضِ ما لَهنَّ مِنَ الجلابيبِ، والمرادُ ألّا تكونَ الحُرَّةُ مُتبذِّلةً في دِرْعٍ وخِمارٍ فقطْ كالأمَةِ، **والثّاني:** أنْ تُرخيَ المرأةُ بعضَ جِلْبابِها على وجهِها تتقنَّعُ، حتَّى تتميَّزَ مِنَ الأمَةِ[1]، والتَّجلبُبُ على الأوَّلِ لُبْسُ الجِلْبابِ على البدنِ كلِّه، وعلى الثّاني التَّقنُّعُ بسَتْرِ الرَّأسِ والوجهِ معَ إرخاءِ الباقي على بقيَّةِ البدنِ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالجلابيبِ دونَ الخُمُرِ:

مقصودُ الشّارعِ المبالغةُ في السَّترِ

الجِلْبابُ: ثوبٌ واسعٌ، أوسعُ مِنَ الخِمارِ[3]، وقد عُبِّرَ بهِ في قوله سبحانَهُ: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾؛ لأنَّهُ لسَعَتِهِ أنسبُ بالمبالغةِ في السَّترِ، والمطلوبُ الشَّرعيُّ هو ألّا يُبْرِزَ الثَّوبُ منها شيئًا يُشتهَى، ولا يَصفَهُ؛ لأنَّ المرأةَ إذا عَرَضَتْ مِنْ محاسنِها ما يُشتهَى؛ فقد سقطَتْ في الدّائرةِ الهابطةِ، وانسلخَتْ عن الكوكبةِ الطّاهرةِ في هذا السّياقِ الشَّريفِ[4].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾:

الإدناءُ مِنَ الجلابيبِ الَّتي تملكُها المرأةُ

أُضيفَتِ الجلابيبُ في قوله تعالى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ إلى الضَّميرِ الرّاجعِ إلى المذكوراتِ في الآيةِ، ولم يقل: (مِنَ الجلابيبِ)؛ إشارةً إلى أنَّ الإدناءَ يكونُ ممّا تحتَ يدِ المرأةِ مِنَ الجلابيبِ الَّتي ينبغي أنْ تكونَ مملوكةً لها مهيَّأةً عندَها؛ لتلبسَها عندَ الخروجِ، وفي الإضافةِ أيضًا تناغمٌ صوتيٌّ معَ حرفِ النّونِ المُتكرِّرِ في قولِهِ: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 560.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 183.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 559.
(4) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 393.

علَّةُ فصلِ ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ تعليلٌ لهُ[1] على طريقةِ الاستئنافِ البيانيِّ، كأنَّ سائلًا قال: ما سببُ الأمرِ بإدناءِ الجلابيبِ؟ فأُجيبَ بأنَّهُ أدنَى.

نُكتَةُ التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ:

مرجعُ الإشارةِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾؛ لإدناءِ الجلابيبِ[2]، أو للتَّستُّرِ[3]، أو لكليهما[4]، وفي الإشارةِ إليهِ باسمِ الإشارةِ للبعيدِ تفخيمٌ لشأنِهِ وتعظيمٌ، كيفَ لا؟ وفيهِ دفعٌ للأذى عن المؤمناتِ، وعن النَّبيِّ ﷺ، وفيهِ حفظٌ وصيانةٌ للمجتمعِ، وترسيخٌ لقيَمِ العفافِ والسَّترِ.

شـأنُ السَّترِ عظيمٌ عندَ اللهِ

دلالةُ التَّعبيرِ بالدُّنوِّ:

قولُهُ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ معناهُ: ذلكَ أقربُ أنْ يُعْرَفْنَ على الجملةِ، حتَّى لا يختلطْنَ بالإماءِ، فإذا عُرِفْنَ لم يُقابَلْنَ بأذًى؛ مراقبةً لرتبةِ الحُرِّيَّةِ، وليسَ المرادُ أنْ تُعْرَفَ المرأةُ حتَّى يُعلَمَ مَنْ هي[5]، وقد عُبِّرَ بـ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾، ولم يُعبَّرْ بـ(أقربُ)؛ لمناسبةِ ﴿يُدۡنِينَ﴾ ومجانستِهِ.

الإدناءُ أقربُ إلى تميُّزِ الحرائرِ عن غيرِهنَّ

نكتةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿يُعۡرَفۡنَ﴾:

يحتملُ أنْ تكونَ المعرفةُ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ على ظاهرِها، ويحتملُ أنْ تكونَ بمعنى التَّمييزِ مجازًا؛ لأنَّهُ المقصودُ[6]، أي: ذلكَ أدنى أنْ يُميَّزنَ من الإماءِ[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 412.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 142.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 115.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 265.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 399.
(6) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 184.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 115.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُعْرَفْنَ﴾:

المعرفةُ مستقبَلةٌ بالنِّسبةِ لزمنِ الإدناءِ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾؛ لأنَّ المعرفةَ مستقبَلةٌ بالنِّسبةِ لزمنِ الامتثالِ بإدناءِ الجلابيبِ، ولأنَّ الإدناءَ المُستمرَّ يترتَّبُ عليهِ التَّمييزُ المُستمرُّ للحرائرِ من الإماءِ.

سرُّ بناءِ ﴿يُعْرَفْنَ﴾ للمفعولِ:

تعميمُ معرفةِ المؤمناتِ

عُبِّرَ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾؛ لبيانِ أنَّ المقصودَ تمييزُهنَّ من الإماءِ دونَ التفاتٍ إلى العارفِ مَنْ هو، وفي ذلكَ تعميمٌ يناسبُ مقامَ الحرصِ على التَّستُّرِ؛ لإفادةِ الصّيغةِ تمييزَهنَّ من الإماءِ مِنْ كلِّ أحدٍ.

معنى الفاءِ في ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾:

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ للسَّببيَّةِ[1]، وهي تفيدُ تسبُّبَ عدمِ الإيذاءِ عن معرفتِهنَّ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ:

عدمُ الإيذاءِ للمُدْنياتِ مستمرٌّ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ المنفيِّ في قوله جلَّ ذِكرُهُ: ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾؛ للدِّلالةِ على أنَّ عدمَ الإيذاءِ المُترتِّبَ على المعرفةِ أمرٌ مستقبَلٌ بالنِّسبةِ لزمنِ الإدناءِ، ويحتملُ أنْ يكونَ للدِّلالةِ على استمرارِ انتفاءِ الإيذاءِ للمُدْنياتِ عليهنَّ من جلابيبِهنَّ.

دلالةُ بناءِ ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ للمفعولِ:

انتفاءُ الإيذاءِ مِنَ الجميعِ

عُبِّرَ بصيغةِ المبنيِّ للمفعولِ في قوله جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾؛ لبيانِ أنَّ مقصودَ الشّارعِ مِنَ الإدناءِ انتفاءُ وقوعِ الأذى لهنَّ، دونَ التفاتٍ لتعيينِ المُؤذي، وفي ذلكَ إشعارٌ بأنَّ الإيذاءَ مُنتفٍ مِنْ كلِّ أحدٍ.

بلاغةُ التَّذييلِ في ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

الإطماعُ بمغفرةِ اللهِ ورحمتِهِ

الواوُ في قوله تقدَّسَ ذكرُهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ للاستئنافِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 412.

والجملةُ تذييلٌ، وقد اختيرَ فيهِ صفتا المغفرةِ والرَّحمةِ؛ ليكونَ فيهِ تنبيهٌ على الصَّفْحِ عمّا سبقَ مِنْ أذى الحرائرِ قبلَ تنبيهِ النّاسِ على هذا الأدبِ الإسلاميِّ[1]، وعلى الحضِّ على التَّوبةِ، والإطماعِ بالمغفرةِ والرَّحمةِ[2]، والعفوِ عمّا يُمكن أنْ يصدرَ عنهنَّ مِنَ الإخلالِ في أمرِ التَّستُّرِ[3].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بفعل الكينونة الماضي:

مغفرةُ اللهِ ورحمتُهُ أزليَّتانِ

التَّعبير بفعل الكينونة الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يدلُّ على الدَّوامِ قبلُ وبعدُ، لا المُضيُّ فقط، وفيه إيذانٌ بأنَّ اتِّصافَهُ تعالى بالمغفرةِ والرَّحمةِ أزليٌّ، وهاتانِ الصِّفتانِ راسختانِ فيهِ[4].

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ:

ملاءمةُ لفظِ الجلالةِ لمقامِ التَّشريعِ

لمّا كانَ المقامُ لتشريعِ هذا الحُكمِ الرَّفيعِ، الَّذي فيهِ صيانةُ المؤمناتِ وحفظُهنَّ، وقد أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ بتولّي تبليغِهِ للمذكوراتِ في الآيةِ بنفسِهِ؛ عُبِّرَ بلفظِ الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ هذا الحُكمَ صادرٌ مِن ذي العظَمةِ والجلالِ، الَّذي لهُ الكمالُ المُطلَقُ[5]، الحكيمُ فيما يَشْرَعُ، الَّذي تجبُ طاعتُهُ، ولا تجوزُ مخالفتُهُ.

لطيفةُ التَّعبيرِ بصيغتَيْ (فَعولٍ) و(فعيلٍ):

مغفرةُ اللهِ ورحمتُهُ وسعتا كلَّ شيءٍ

لمّا كانَتْ مغفرةُ اللهِ تعالى ورحمتُهُ عظيمتَينِ شديدتَينِ، لا يُحيطُ بهما الوصفُ؛ جيءَ بصيغتَيْ (فَعولٍ) و(فعيلٍ) في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هاتانِ الصّيغتانِ مِنَ المبالغةِ[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 107.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 399.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 480.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 412.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 412.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 265، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/ 81.

نُكْتَةُ تقديمِ المغفرةِ على الرَّحمةِ:

تقديمُ المُسبَّبِ على السَّببِ

قُدِّمتِ المغفرةُ على الرَّحمةِ في قوله تباركَ شأنُهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ غُفْرانَهُ تعالى للذُّنوبِ ومَحْوَهُ وإزالتَهُ لها نتيجةٌ لرحمتِهِ الَّتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ، كأنَّهُ قيلَ: وكانَ اللَّهُ غفورًا؛ لأنَّهُ رحيمٌ، وأيضًا الرَّحمةُ أعمُّ مِنَ المغفرةِ؛ لأنَّها لا تقتصرُ على مَحْوِ الذُّنوبِ وسَتْرِها، فيكونُ ذلكَ مِنْ قبيلِ تقديمِ الخاصِّ على العامِّ، ثمَّ إنَّ التَّخليَةَ مُقدَّمَةٌ على التَّحْلِيَة؛ لأنَّ المغفرة سببٌ لرحمات كثيرة، بوصفها إنهاءً لغضب اللّه المترتِّب على الذَّنب.

سرُّ عدمِ ذِكْرِ مُتعلَّقٍ للمغفرةِ والرَّحمةِ:

وجوبُ السَّعيِ لتحصيلِ أسبابِ المغفرةِ والرَّحمةِ

لم يُذكَرْ مُتعلَّقٌ للصِّفتينِ في قوله سبحانَهُ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ ليكونَ النّاسُ ساعينَ في تحصيلِ أسبابِ المغفرةِ والرَّحمةِ، ولإفادةِ سَعَةِ المغفرةِ والرَّحمةِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الزَّوجةُ والمرأةُ:

مناسبةُ الأزواجِ لمقامِ الحرصِ على دفعِ الأذى عنهنَّ

جاءَتْ كلمةُ (زوجٍ) في الاستعمالِ القرآنيِّ في سياقِ النِّعمةِ والتَّوافقِ وحُسْنِ المُعاشرةِ، وفي سياقِ ذكرِ نساءِ المؤمنينَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: 25]، وقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]؛ وذلكَ لما في لفظِ الزَّوجِ في اللُّغةِ مِنَ الإشعارِ بالمجانسةِ والاقترانِ، واستُعمِلَتْ كلمةُ (امرأةٍ) في سياقِ الإخبارِ عن نساءِ أهلِ الشِّركِ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: 11]، ففِرْعونُ كانَ مُشرِكًا، وامرأتُهُ كانَتْ مؤمنةً، فعَدَلَ القرآنُ عن لفظِ (زوجٍ) الدّالِّ على

التَّجانسِ والتَّشاكلِ، وعبَّرَ بلفظِ (امرأةٍ) الدّالِّ على مُجرَّدِ الأُنوثةِ؛ قطعًا للمشابهةِ والتَّجانسِ بينَ الكفّارِ والمؤمنينَ، وكذلكَ عبَّرَ القرآنُ بلفظِ (امرأةٍ)؛ إذا كانَ الرَّجلُ كافرًا والمرأةُ كافرةً، كما في حالِ أبي لَهَبٍ وامرأتِهِ في قولِهِ: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: 4]؛ قطعًا للمشابهةِ في الوصفِ بينَ المؤمنينَ والكفّارِ، وأمّا قولُهُ تعالى على لسانِ زكريّا عليه السلام: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم: 5]، وقولُهُ عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾ [الذاريات: 29]، فلأنَّ لفظَ (امرأةٍ) أنسبُ بسياقِ الحملِ والولادةِ المرتبطينِ بصفةِ الأُنوثةِ، ويناسبُها ذِكرُ كلمةِ (امرأةٍ) الدّالَّةِ عليها[1].

وقد اختيرَ لفظُ الأزواجِ في الآيةِ؛ لِما يدلُّ عليهِ مِنَ التَّوافقِ وحُسْنِ المعاشرةِ بينَ الزَّوجينِ، وهو يناسبُ مقامَ الحرصِ على دفعِ الأذى عن أزواجِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فذلكَ مِنْ علاماتِ التَّوافقِ وحُسْنِ المعاشرةِ.

الدُّنوُّ والقُربُ:

الإدناءُ أنسبُ بدفعِ الأذى؛ لأنَّهُ يتضمَّنُ التَّغطيةَ والسَّتْرَ

الدُّنوُّ لا يكونُ إلّا في المسافةِ بينَ شيئينِ، تقولُ: دارُهُ دانيةٌ، وأمّا القُربُ؛ فهو عامٌّ في ذلكَ وفي غيرِهِ، ولذلكَ تقولُ: قلوبُنا تتقاربُ، ولا تقولُ: تتدانَى[2]، وقد عُبِّرَ بالإدناءِ في الآيةِ؛ لِما يُفيدُهُ مِنَ الإرخاءِ والسَّدْلِ، وتقريبِ الجلابيبِ بحيثُ تقلُّ المسافةُ بينَها وبينَ الجسدِ، فتُغطّي البدنَ كلَّهُ أو الوجهَ، يقالُ إذا زلَّ الثَّوبُ عن وجهِ المرأةِ: أدْني ثوبَكِ على وجهِكِ[3].

(1) محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية، ص: 278 - 280، وزيدان، الفروق اللّغويّة في القرآن، ص: 596، والنّزهيّ، الفروق اللّغوية، ص: 40.

(2) النّزهيّ، الفروق اللّغويّة في تفسير الكلمات القرآنية، ص: 184.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 560.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»